

من أرشيف الحب .. (الدمعة الثالثة) ناجي بن داود الحرز

سماحة الشيخ محمد بن جابر الجاسم حفظه الله من الأحبة الذين سكنوا شغاف القلب مبكراً ، تعرفت عليه أواخر عام 1406هـ تقريباً ، وسرعان ما ارتبطنا معاً بمودة عميقة ، وكان من السبعة الذين حضروا معي أول جلسة من جلسات (منتدى الينابيع الهجرية) نهاية عام 1407هـ ، ومن الذين حرصوا أشد الحرص على إنجاح هذا المشروع ، في أوج وزخم انشغالنا بتثبيت الخطوط العريضة لمسيرة المنتدى و حشد العزائم والهمم لتحقيق أهدافه قرر فجأة الاستقالة من عمله في شركة (أرامكو) والهجرة لطلب العلم والاستقرار في النجف الأشرف ، كانت صدمة لي بشكل خاص بكل ما تعنيه هذه الكلمة و على كل المستويات ، وخسارة فادحة بكل المعايير ، وبصفتي شاعراً عبّرت عن ذلك الخسران المبين بسلسلة من القصائد أو الدموع كما أسميتها منها هذه القصيدة والمعنونة بالدمعة الثالثة

الدمعة الأولى كتبتها وأعطيتها إياه ليلة رحيلة و مطلعها (عالجتُ دهري فانتكسُ ... و هوى وعاجله
النَّحْسُ) وأعطيتها إياه في ظرف مختوم و طلبت منه ألا يفتحه إلا عندما يصل إلى النجف ربما محافظة
على تجلّدي أمامه و على تجلده أمامي لما في تلك القصيدة من مشاعر مشجية بحق . أما الدمعة الثانية
فبدأت كتابتها بعد توديعه في طريق عودتي إلى المنزل و مطلعها (و دعت إذ ودعتكم بسما تي ... و
رجعتُ منطويا على مآساتي)

أما هذه القصيدة وهي الدمعة الثالثة - والتي اتخذت طابع العتاب والشكوى - فكتبتها بعد
أشهر من سفره عندما رأيت رسالة منه عند أحد المشائخ وكنت حينها أتلهف لسماع أي خبر منه في غياب
وصعوبة التواصل آنئذٍ :

الدمعة الثالثة ..

ولئن راعك عتبي

أيها الماضي بليبي

فلقد روّعت بالهج

ران يا فاتر قلبي

عرفوني بك لمّا

ذاع في العالم حبي

والأناشيد اللواتي

هُنَّ مِمَّنْ بَعْدَكَ صِبي

سألوني عنك يا من

فَلَّ نَسِيانُكَ عَصْبي

كم دعائي البوحُ حتى

كُدتُ للبوح ألبسِي

ثُمَّ لا أظْهَرُ إلا

الصبر والصبر وحسبي

ولئن أوهمتُ كلَّ ال

ناس يا أهلي و ناسي

أتراني أوهمُ القلبَ

وأُخفي ما أقاسي؟

أم عيوني وهي تشكو

بعدما عزّ نعاسي؟

أم° تُراني كنت ناسٍ

بعدما أصبحت ناسٍ؟

آه ليت الناس كل ال

ناس في الصبر سواسي

ربما الأيام شدّت

مثلما باسكٍ باسي

و تناسيتُ هموماً

شيّبت بعدك راسي

آه كم أخشى بالأ

يجد المجرحُ أسـ

إنَّ أشواقِي تَأبِي

كَلِمَا بِيَّنتُ سَمَعَا

فَإِذَا هِيَّجَنَ دَمْعِي

لَذتُ بِالْأَقْلَامِ طَوْعَا

أَمَلَا الْأَوْرَاقَ أَبْيَا

تَا بِهَجْرَانِكَ صَرَعِي

كَلِمَاتٍ تَرْفِضُ الشُّكَّ

وَيُ إِلْسِي غَيْرَكَ شَرَّءَا

وَالْبِكَا وَالشُّجُو إِلا

تَحْتَ أَفْيَائِكَ طَبَّعَا

وَعَلَى أَبْوَابِ مَن مَّا

زَلتَ مَن دُونِي تَرَعِي

طُفْتُ كَالسَّائِلِ اسْتَج

دي لهذا الشوق نفعاً

ففؤادي كل يوم =

عندهم يُصدع صدعاً

ويح هذا الدمع لا ين

فأكّ تـسكـابا و صـوبـا !

و يح هذا القلب لا ين

فك تـحـنـانـاً و ذوبـا

أيها المسكين مهلاً

لا يكون الود غصبا

كم سوى روحك روجاً

مـن جـفا الأحياب غصبي

ما شفاها العتب لمّا

تـخـذت° ذلك دأبـا

ليس كالشكوى إذا ملّ

كَمَ مَنْ مَلَكَ ذَنْبًا

إِنَّ مَنَ أَعْطَاكَ يَوْمًا

وَالهوى رَوْحًا و قلبًا

تَخَذُوا غَيْرَكَ حَبًّا

وَسوى دَرَبِكَ دَرَبًا

فَاتَّخَذَ أَنْتَ بَكَاهِم

أَيُّهَا البائِسُ شُغْلًا

حَبِّذَا الذَّلَّ عَلَى أَع

تَابَ مَعْشُوقَكَ ذَلًا

أَنْتَ بِالْحَرْقَةِ وَالْحَس

رَةِ وَالْأَشْجَانِ أَوْلَى

فَاشْرَبِ الْمُرَّ عَلَى ذِك

رَاهِمٌ نَهْلًا وَعَلا

أنت هذا أنت ما زل

ت على الأحباب كـلا

كلما لملت شملاً

فرقت دنياك شملاً

فكفك الليل سترًا

و كفك النجم خـلا

وأمانيك إذا ما

عزب الوصل تعـلا